

العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي والعرب حتى بداية الحرب العالمية الأولى

د. إبراهيم علاء الدين *

عبد الحميد العليوي **

(تاريخ الإيداع 9 / 5 / 2021. قبل للنشر في 2 / 8 / 2021)

□ ملخص □

اشتد الوعي القومي في المحيط العربي ، وبدأ يعبر عن ذاته قولاً وفعلاً، إذ بدأت المطالبة صراحة بتحسين الحالة السياسية للعرب ضمن إطار الدولة العثمانية، ومع تطورات الأوضاع ، وحسب الحالة السياسية في الدولة العثمانية تحولت تلك المطالبات إلى حراك ونشاط سياسي علني امتد على اتجاهات مختلفة فكرية وجغرافية عدة، لقد حاول العرب المطالبة بإصلاحات داخل الدولة العثمانية بعد صدور الدستور العثماني عام 1908م، وذلك لحماية بلادهم من التطورات التي تحدث داخل الدولة العثمانية واشترطهم الحكم اللامركزي داخل الدولة، ولكنهم اصطدموا بالسياسة الطورانية لحزب الاتحاد والترقي الذي صاغ الدور الأخير في الدولة العثمانية واستلم الحكم الفعلي فيها، منددين بدور العرب في الحياة السياسية في الدولة العثمانية ودورهم في خلخلة أوضاعها الداخلية، من خلال اشتراكهم في جمعيات سرية وعلنية وللمطالبة بامتيازات جديدة في الدولة العثمانية ، وهو ما يناهز سياسة جمعية الاتحاد والترقي القائمة على تنريك كافة العناصر المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية ومنع استلام أي عنصر غير تركي لأي منصب في مؤسسات الدولة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: العرب - جمعية الاتحاد والترقي - الدستور - الحكم اللامركزي - التنريك.

* أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة تشرين - اللاذقية.

** طالب دكتوراه - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة تشرين - اللاذقية.

The relationship between the UDP and the Arabs until the beginning of the First World War

Dr. Ibrahim Aladdin *
Abdul Hamid Al-Alawi**

(Received 9 / 5 / 2021. Accepted 2 / 8 / 2021)

□ ABSTRACT □

National awareness intensified in the Arab environment, and began to express itself in word and deed, as the demand began explicitly to improve the political situation of the Arabs within the framework of the ottoman Empire, and with the developments of the situation, and according to the political situation in the ottoman Empire, those demands turned in to movement and overt political activity that extended to different ideological directions.

And geographically, the Arabs tried to demand reforms within the ottoman Empire after the issuance of the ottoman constitution in 1908, This was to protect their country from the developments occurring within the ottoman Empire and their requirement of decentralized rule within the state, but they clashed with the Turanian policy of the Union and progress party, which formulated the last role in the ottoman Empire and received the actual rule in it, denouncing the role of Arabs in political life in the ottoman state and their role in disrupting its internal conditions, through their participation in secret and public associations and demanding new privileges in the ottoman Empire, which contradicts the policy of the Union and progress Association based on leaving all elements under the banner of the ottoman Empire and preventing any non-Turkish element from receiving any position in the institutions of the ottoman empire.

Key words: the Arabs- the Union and progress Association- the constitution- decentralized government- Turkification.

*Associate Professor - Department of History - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia.

**PhD Student - Department of History - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia.

مقدمة

كان العرب يشكلون نصف سكان الدولة العثمانية، وكانوا يسرون في فلکها وتحت رايّتها كيفما تريد، ولكن ازدياد الوعي القومي العربي وانتشار الصحافة واهتمام العرب بلغتهم الأم وظهور بعض الشخصيات التي تعلمت في الخارج وتشرّبت من الحضارة الأوروبية ساهم كل ذلك في توجه الرأي العام بالعربي إلى المطالبة بالإصلاح في الدولة العثمانية للحصول على حقوقهم المسلوبة لأكثر من أربعين عاماً، لقد نادى العرب بالإصلاح وأسسوا الجمعيات السرية داخل بلاد الشام خوفاً من بطش العثمانيين والعلنية خارجها للمطالبة بحقوق العرب الخاضعين للدولة العثمانية فنادوا بداية بالحكم اللامركزي للولايات العربية وعودة أبنائهم للخدمة العسكرية داخل ولاياتهم والاهتمام باللغة العربية كونها لغتهم الأم وهي لغة القرآن ووجوب تعلمها من قبل أبناء العرب، ومع ذلك لم يفكروا بالانفصال عن الدولة العثمانية، ولذلك دعموا جمعية الاتحاد والترقي، ولكنهم اصطدموا بالأتراك العثمانيين الذين نادوا بالقومية الطورانية التركية التي تدعو إلى تتركيب الشعوب كافة الخاضعة للدولة العثمانية من غير الأتراك وسيطرة العناصر التركية على مناصب مؤسسات الدولة العثمانية وطرد المندوبين بالإصلاح خارج الدولة وتأسيس جمعيات تركية خالصة بأرائها وأفكارها ولغتها، مما أدى إلى زرع بذور الخلاف والشقاق بين العرب وجمعية الاتحاد والترقي الذي لم يكن سلمياً فقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي استخدام كافة أساليب القمع والقتل ضد العرب المناهضين لها ولسياستها، مما دفع العرب للدعوة لانفصالهم عن الدولة العثمانية.

سبب اختيار البحث:

يعود سبب اختيار هذا البحث لدراسة تطور الفكر العربي وظهور بوادر اليقظة العربية التي ظلت غائبة لمئات السنوات عن الساحة العثمانية، هذه اليقظة التي ساهمت في بلورة الفكر العربي المطالب بالإصلاح في الدولة العثمانية.

أهمية البحث وأهدافه

تكمن أهمية هذا البحث في الصدام الذي حدث بين جمعية الاتحاد والترقي من جهة والعناصر العربية المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية، والشعوب الأخرى من غير الأتراك المطالبين بحقوقهم التي حرمتهم إياها الدولة العثمانية، فقد كانت تعدّهم مواطنين درجة ثانية بعد العنصر التركي، وهذا ما عملت عليه جمعية الاتحاد والترقي في إبعادهم عن الوظائف المهمة والمناصب العالية في الدولة العثمانية، مما دفع الشعوب الأخرى الموجودة في الدولة العثمانية للمطالبة بحقوقها، ومنهم الشعب العربي.

إشكالية البحث:

إن وجود العرب في الدولة العثمانية ودورهم في نهضتها ووصولها لأن تصبح إمبراطورية ودفع أعداد كبيرة من العرب لحياتهم في سبيل السلطان والدولة العثمانية، ولم يحصلوا على رد الجميل من هذه الدولة بل على العكس فقد حاولت الدولة العثمانية وعلى رأسها جمعية الاتحاد والترقي قلب الطاولة على العرب لذلك فإن هذا البحث يطرح مجموعة من التساؤلات منها:

- ما هي مطالب العرب من الدولة العثمانية؟ وما هو رد جمعية الاتحاد والترقي عليهم؟
- لماذا عملت جمعية الاتحاد والترقي على فرض سياسة التتركيب على الشعوب التي تعيش بين ظهرانيتها؟
- ما هو الأسلوب الذي اتبعته جمعية الاتحاد والترقي في ردها على المطالب العربية وغيرها من الشعوب غير التركية؟

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج العلمي الاستقرائي في دراسة المراجع التاريخية، فضلاً عن اعتماد المنهج التحليلي من خلال المعلومات التاريخية من المراجع التي تفيد خطة البحث وفق تنسيق منهجي أكاديمي.

بوادير الخلف العربي - العثماني

شارك العرب في المعارضة السياسية العثمانية المناهضة لحكم عبد الحميد الثاني منذ مراحلها الأولى، وتميزت هذه المعارضة بخصوصيتها الصحفية التي بدأها المفكرون السوريون، ولكن الرقابة الصارمة التي فرضها السلطان عبد الحميد الثاني على الصحافة والصحفيين أجبرتهم على نقل أنشطتهم السياسية والصحفية إلى مصر وأوروبا، وأمريكا وأنشؤوا هناك صحفاً معارضة، وشاركوا في صحف أخرى بمقالات سياسية تناهض سلطة السلطان عبد الحميد الثاني.⁽¹⁾

لم يفكر العرب على الرغم من عدم الرضا عن الحكم العثماني في الانفصال عن الدولة العثمانية⁽²⁾، وكانوا يطالبون بالإصلاح فقط، وعمدوا إلى إنشاء جمعيات عديدة للمطالبة به، ولكن العلاقات التركية - العربية توترت وتعرضت لتغيرات جذرية في عهد جمعية تركيا الفتاة (1908-1918م)، فرجع العرب سوية مطالب الإصلاح إلى الاستقلال الذاتي للولايات العربية، ومع إعلان الدستور عام 1908م وقيام حياة دستورية ثانية في الدولة العثمانية، انتهجت الولايات العربية كسائر الولايات العثمانية، وقويت آراء الذين نادوا بوجوب الإصلاح عن طريق التآزر مع أحرار الترك.⁽³⁾

كما تنفست الحركة العربية التي كانت تسير جهاراً مع مصر والدول الأوروبية، وسراً في المشرق العربي، ورفع التصييق عن الصحافة وألغيت الرقابة، وأصبح الناس يهتمون بالسياسة، وأخذت الصحافة الممنوعة تظهر في الولايات الشامية بشكل علني.⁽⁴⁾

أخلص العرب للعهد الجديد، وتساهلوا حتى في أمر لغتهم القومية، واطمأنوا إلى جدوى الحكم الدستوري في حفظ مكانتهم بصفتهم عثمانيين، وأن تراعى حقوقهم على قدم المساواة مع بقية العناصر في الدولة العثمانية، ومالت أغلبية الآراء إلى وجوب الإصلاح والتآزر مع الترك، بعد أن كانت منقسمة ومنتوعة وأواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فسار العرب في ركاب جمعية الاتحاد والترقي، وكثير المنتسبون إليها بعد أن فتحت فروع لها في سائر المدن العربية.⁽⁵⁾

[¹] النفزاوي، محمد ناصر، التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية 1839-1918م، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ط1، 2001م، ص160-161.

[²] معطي، علي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، دراسة في العلاقات العربية التركية 1908-1918م، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط1، 1992م، ص26.

[³] الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت، ص113.

[⁴] الرفاعي، شمس الدين، تاريخ الصحافة السورية، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ج1، ص209.

[⁵] النعماني، عارف بك، وثائق حول العلاقات اللبنانية السورية الفرنسية 1882-1955م، إعداد فاطمة الشامي، بيروت، 1999م، ص23.

كان العرب يشكلون نصف سكان الدولة العثمانية، ولم يكن عدد نوابهم في البرلمان العثماني، ولا في مجلس الأعيان يكافئ نسبتهم، ولم يكن يسند إليهم إلا وزارة الأوقاف، ولم يطالبوا بأكثر من ذلك حرصاً على وحدة الدولة، بل إن معارضتهم الأولى انطوت على مصلحة الدولة العليا.⁽⁶⁾

ظهرت جمعية النهضة العربية⁽⁷⁾ للوجود من المرحلة السرية إلى العلنية بعد إعلان الدستور، واتخذت موقفاً مؤيداً للاتحاد والترقي، واضطرت إلى إجراء بعض التعديل في منهجها، لا سيما فيما يتعلق منها بالعمل السياسي، كما أنها لم تحصل على ترخيص لعملها إلا بعد أن عدلت نظامها الداخلي بما يتوافق مع قانون الجمعيات العثمانية، وكذلك فعل أعضاء جمعية الشورى العثمانية، فتخلت الجمعيتان بذلك عن العمل السياسي.⁽⁸⁾

ظهرت أولى بوادر الخلاف في أول تجربة مرت بها العلاقات العربية - العثمانية عندما قام نخلة باشا مطران ورشيد بك مطران بالإعلان عن الجمعية السورية عام 1908م، بعد الإعلان عن الدستور العثماني، ودعوا من خلالها إلى استقلال سوريا إدارياً، فهاجمها بعض العرب العثمانيين قبل الأتراك، وتوالت الخلافات وتراكمت بسبب ازدياد سوء التفاهم والارتياح بين الطرفين، فقد بدأت تظهر التوجهات العنصرية في الصحف التركية أولاً⁽⁹⁾، ومنها ما تم توجيهها للعرب مباشرة وهو ما كان يوجب الرد، وأدى إلى توتر شديد بين العرب والترك في الدولة العثمانية، فلم تخف الصحافة العثمانية استيائها من العرب وكانت تتصح السلطات بالعمل على عثمة العرب وإجبارهم على تعلم اللغة العثمانية، وإجبار السوريين على ترك أوطانهم، والعمل على تحويل اليمن والعراق إلى مستعمرات عثمانية ونشر اللغة العثمانية فيها، ولقد ولدت الصحافة الحرة في الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور، وهي لم تكن حكراً على دعاة القومية التركية، فقد أنشأت كل العناصر القومية الأخرى في الدولة العثمانية صحفاً خاصة بها، وأخذت تجهر بالشكوى من مظالم العهد الجديد، وتدعو إلى إزالة الظلم عن أبناء قومهم وإنصافهم، واحترام خصوصياتهم الثقافية، وكانت الصحافة التركية ترد عليهم وتندد بمطالبهم، وكانت النتيجة أن شهدت السنة الثانية من إعلان الدستور حرباً قلمية دارت رحاها بين الصحافة التركية وصحافة القوميات الأخرى، وأدت إلى ظهور الحماسة القومية لدى كل العناصر.⁽¹⁰⁾

الاتجاه الأتراك إلى القومية الطورانية:

خيب الاتحاديون الآمال بعد أن طغى الاتجاه الطوراني على ممارساتهم، وقيامهم بعمليات تترك الإدارة والحكومة، وتحولهم في موقع الحكم والسلطة، نحو الإيديولوجية القومية وتبني السياسة المركزية ذات المنحى الديكتاتوري، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الخلاف بين العرب والترك، ولقد استعمل الأتراك الاتحاديون القوة لضرب الأمم المسلمة، ومنهم العرب، والكرد، وغيرهم من لشعوب التي تدور في فلك الدولة العثمانية، وضيّقوا عليها فرص تعلم لغاتهم الأصلية وتساهلوا مع المسيحيين في تعلم لغاتهم في مدارسهم الخاصة، بسبب تشكيلاتهم الطائفية والامتيازات المتعلقة بها،

[6] برو، توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991م، ص148-149.

[7] تأسست في استانبول عام 1906م، ثم تأسس لها فرع في دمشق، وتقرر بأن تكون دمشق المركز العام للجمعية، ومن أبرز أعضائها: رشدي الحكيم، وصلاح الدين القاسمي، ولطفي الحفار، وزكي الخطيب، ومحب الدين الخطيب. القاسمي، صلاح الدين، صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين، المطبعة السلفية، د.ت، ص5-6.

[8] كوتلوف، ليف، الحركة العربية في المشرق العربي 1908-1914 دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا، دار الكنوز الأدبية، ط1، 2001م، ص118.

[9] دروزة، محمد عزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ت، ص290-291.

[10] قلجعي، قفري، الثورة العربية الكبرى 1916-1925، شركة المطبوعات اللبنانية، بيروت، ط1، 1993م، ص73-74.

بالرغم من أن مدارس جبل لبنان كانت تعلم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأجنبية، إلا أنها كانت بأساليب ضعيفة، أما لغة التدريس في المدارس الحكومية فكانت باللغة التركية، في حين أن تدريس قواعد اللغة العربية في هذه المدارس كان يقوم به مدرسون أتراك، وباللغة التركية من دون أن يكون لديهم مؤهلات تدريس هذه القواعد، ومن جهة أخرى فقد فرض الاتحاديون على العرب تقديم البيانات إلى الدوائر الجمركية باللغة التركية والفرنسية، وكذلك أن تكون المراسلات بين جمعية الاتحاد والترقي وفروعها في الولايات العربية باللغة التركية، كما فرضت هذه اللغة على مناقشات مجلس المبعوثان، ومنع استخدام اللغة العربية في كتابة عرائض الشكاوي المقدمة إلى هذا المجلس.⁽¹¹⁾

وشكلت الانتخابات العثمانية تجربة مريرة أخرى في العلاقات العربية - التركية بعد أن عمد الاتحاديون إلى ترشيح عناصر من الترك في مختلف الولايات العربية وغيرها، رغم أن الدستور العثماني فرض انتخاب النواب من أهالي الولاية، كما قاموا بتوزيع المقاعد على الولايات بشكل كفي، ودون مراعاة نسب السكان في كل ولاية، وأصروا على أن يتقن المرشحون اللغة التركية كونها اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد، ولم يكن يتقن التركية في الولايات العربية سوى الدائرة الضيقة من موظفي الدولة.⁽¹²⁾

مما زاد في عدد الأتراك في مجلس المبعوثان بعد ترشيح الاتحاديين للأتراك عن الولايات العربية وغيرها، ومن الممارسات التي وسعت الهوة بين الاتحاديين والعرب هو إقصاء الضباط العرب البالغ عددهم 490 ضابطاً، ونقلهم إلى مناطق نائية، وبالمقابل تم إسناد القيادة العسكرية في البلاد العربية إلى ضباط أتراك.⁽¹³⁾ كانت مناصب الولاية، والمتصرفين، والقضاة لا تسند إلا للأتراك الذين لم يكونوا يتقنون اللغة العربية؛ مما كان يجعلهم لا يدركون معاناة العرب وميولهم وطبائعهم.⁽¹⁴⁾

اتحاد العناصر المختلفة في الدولة العثمانية ضد التركية الطورانية:

تكتلت بعض الشخصيات التي كانت غالبيتهم من العناصر غير التركية في البرلمان العثماني، وحاولت أن توحد جهودها في مواجهة الاتحاديين، فقد اجتمع 32 نائباً أغلبهم كان من العرب؛ إلى جانب نواب من الأرمن والروم والترك، واستقر رأيهم على تأسيس حزب باسم الأحرار المعتدلين بهدف توثيق روابط الاتحاد بين العناصر المختلفة.⁽¹⁵⁾ لقد وضعوا برنامجاً للحزب، كان من أهم مواده الوقوف بوجه الأفكار التي تؤدي إلى تجزئة المملكة وتفككها، مثل نظرية الفيدرالية، وبذل الجهد لتوثيق الروابط بين العناصر المختلفة⁽¹⁶⁾، كما تم الإعلان عن تشكيل حزب الأهالي الذي تألف من مختلف العناصر، وكان ينادي باللامركزية الإدارية، ويهدف إلى الحصول على حقوق جميع العناصر والسكان؛ فضلاً عن حقوق العمال وتحسين أوضاعهم مادياً ومعنوياً، وقد ازداد أعضاء الحزب من النواب، لا سيما بعد أن انسحب عدد من النواب من جمعية الاتحاد والترقي، وقد أثار هذا الانسحاب وغيره قلق الاتحاديين، فقد تقلص عدد

[11] معطي، تاريخ لبنان السياسي، ص 57-59.

[12] كوتلوف، الحركة العربية، ص 133.

[13] معطي، تاريخ لبنان السياسي، ص 60-61.

[14] العظم، رفيق، مجموعة آثار رفيق بك العظم، القسم الأول، الجامعة العثمانية والعصبية التركية، مطبعة المنار، مصر، ط 2، 1925م، ص 134.

[15] أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 2001، ص 330.

[16] عبد القادر، محمد الخير، نكبة الأمة الإسلامية بسقوط الخلافة العثمانية، مكتبة وهبة، ط 1، 1985م، ص 96.

نوابهم في أوائل عام 1910م إلى 154؛ مقابل صعود عدد معارضيتهم إلى 116، وكان لهذا الأمر بالغ الأثر في توجه الاتحاديين نحو الحكم المركزي، وإخضاع جميع ولايات الدولة لحكمهم المركزي الضيق.⁽¹⁷⁾ من أهم القضايا التي أثارها العرب في البرلمان العثماني، هي قضية الغبن الذي يعاني منها العرب في الدولة العثمانية من حيث توليهم الوظائف العليا والمتوسطة إلى نسبة عددهم في الدولة العثمانية.⁽¹⁸⁾ مما أدى لاحتجاج العرب في البرلمان العثماني، وقد أثار هذا الاحتجاج رد فعل عنيف من طرف الاتحاديين، وقابلوه بالاحتجاج داخل البرلمان وخارجه، وعدوه من قبيل إثارة النعرات العرقية، وقد هاجمت الصحافة التركية هذا الاحتجاج، ودافعت عنه الصحف العربية، كما تحركت اللجنة المركزية للاتحاد والترقي وأرسلت تلغرافاً إلى جميع فروعها، وأوعزوا إلى النواب العرب الموالين لهم بأن يرسلوا إلى الجرائد العربية طلبات بعدم التعرض للموضوع، والحض على التمسك بالجامعة الإسلامية، وهو ما عده المسيحيون عاملاً من عوامل التفرقة بين الطوائف العثمانية.⁽¹⁹⁾ أدى موقف الاتحاديين هذا، وغيرها من المواقف لا سيما إهمالهم لقانون الولايات، وميلهم الواضح نحو المركزية الشديدة إلى ظهور قوى معارضة لسياستهم، وأدت إلى فقدان الثقة في سياستهم، بالنسبة للعناصر غير التركية، ولم تسعفهم التعديلات التي أدخلوها في برنامج جمعيتهم، ولا سحبهم لعناصرهم من الوزارات والوظائف المهمة، فقد ازداد موقفهم تدهوراً، وبدأت تنشق عنهم شخصيات قيادية بارزة، و أهمهم الأميرالاي صادق بك، وهو من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي.⁽²⁰⁾

ولم يرق له أن تمارس جمعية الاتحاد والترقي صفة الوصاية على الوزارة، والتركيز على توطيد دعائم الجمعية فقط، وكان من المطالبين بابتعاد الجيش عن السياسة، فتهجم عليه أعضاء الجمعية، ووصفوه بالرجعي الذي يطالب بعودة الحكم السابق، فاستقال من منصبه، وأعلن تمسكه بالدستور والتفاني في سبيله، ثم مد يده للمعارضين لجمعية الاتحاد والترقي، وكان معظمهم ممثلي العناصر غير التركية.⁽²¹⁾ الذين ألفوا حزباً جديداً معارضاً باسم حزب الحرية والائتلاف وانضم إليه الحزب الحر المعتدل، وحزب الأهالي، والكثير من النواب من العناصر غير التركية، وكل المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي.⁽²²⁾

كان الحزب الجديد يتألف من عناصر غير متجانسة، كانت تجمعهم فكرة مناهضة جمعية الاتحاد والترقي، وتجمعهم المصالح والإيمان بمبادئ اللامركزية في الحكم، وافتتح لهذا الحزب فروع في دمشق والبصرة، وفي هذه الأخيرة تم افتتاح الفرع فيه بمراسيم خاصة، وبحماسة شديدة، حيث تليت الخطب وبرقيات التأييد من سائر البلاد العربية أصيب الاتحاديون بالذعر من جراء فقدانهم لرصيدهم الشعبي، وازدياد شعبية المعارضة بعد تأسيس حزب الحرية والائتلاف، فعمدوا إلى حل مجلس المبعوثان، لأن بقائه سيزيد من قوة المعارضة، وسيؤدي إلى إسقاط الاتحاديين من مناصبهم القيادية في الدولة العثمانية.⁽²³⁾ لذلك سرعان ما بدؤوا بالدعوة إلى انتخابات جديدة، استخدموا فيها كل

[17] برو، العرب والترك، ص 228.

[18] منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، دار الفكر العربي، ط2، 1978م، ص 146.

[19] برو، العرب والترك، ص 243-246.

[20] أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ص 345.

[21] الحصري، ساطع، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1948م، ص 159.

[22] مذكرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي، دار الساقى، بيروت، ط3، 1998م، ص 98-99.

[23] برو، العرب والترك، ص 255-256 و 307.

أساليب الضغط من التهديد، والوعيد، والتلاعب، والتزوير، من أجل ترجيح الأصوات الاتحادية في كل الولايات العثمانية.⁽²⁴⁾

الانتخابات العثمانية ودور جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية:

بعد إجراء تلك الانتخابات حصل الاتحاديون على الأكثرية الساحقة من مقاعد مجلس البرلمان العثماني الجديد، بحيث لم يصل من خارج حزبهم سوى أربعة نواب⁽²⁵⁾، إلا أن الرأي العام العثماني سرعان ما أظهر سخطه وغضبه من هذا الفوز المصطنع، وتجاوب معه الجيش في نقمته هذه، وتدخل في الأمر، فقد ثار فريق من ضباط الجيش، وطالبوا بتشكيل حكومة من غير الاتحاديين، وحل المجلس، مع إجراء انتخابات جديدة بعيداً عن أساليب الضغط السابقة، وإبعاد الضباط والجنود عن الاشتغال بالسياسة، ومنع جمعية الاتحاد والترقي من التدخل بأمور الدولة.⁽²⁶⁾

كانت حركة الضباط الثائرين خليطاً من الألبان والترك، وازدادت قوتهم شيئاً فشيئاً، واتخذت الحركة اسم عصابة ضباط الإنقاذ، وأيدتها حاميات بقية المدن العثمانية، كما ظهر رد فعل عربي تركز على الاجتماع السري في مؤتمر تم تسميته بالمؤتمر القحطاني في أواخر تموز 1912م، وصدر عن هذا المؤتمر منشور تم توجيهه إلى الأمراء العرب والأفراد، وأعلن فيه الحرب الدستورية على الفئة التركية الحاكمة، وطالب أعضاء المؤتمر بإسقاط الحكومة، وبحل المجلس النيابي الجديد، وبالمشاركة العربية في وضع الدستور وفي إدارة البلاد، مع ظهور نداءات أخرى تدعو العرب إلى التخلص من النير العثماني- التركي.⁽²⁷⁾

اضطرت وزارة الاتحاديين للاستقالة في 9 تموز 1912م، وتشكلت وزارة جديدة، وقد حظيت بالقبول من الرأي العام لأملها بإمكاناتها في إرساء قواعد الدستور الصحيحة، وتوطيد قضايا العدالة والمساواة بين عناصر الدولة، فقد ألغيت الأحكام العرفية، وأعلن العفو العام، وفرض على الضباط عدم الانتماء لأي حزب سياسي، وحدث هذا كله مع تصاعد الهجمات الإيطالية على طرابلس الغرب، حيث إن الحكومة الإيطالية أرادت الاستفادة من أزمة الحكم إثر حركة عصابة ضباط الإنقاذ، فوسعت عملياتها الحربية البحرية التي كانت قد بدأتها في البحر الأحمر والبحر المتوسط، فقد ضربت الدردنيل للمرة الثانية بقنابل أسطولها في 19 تموز 1912م، لإرغام الحكومة الجديدة على الصلح، وقبل أن تنتهي الحكومة الجديدة الحرب مع إيطاليا⁽²⁸⁾

لقد أصر وزير الداخلية طلعت باشا على استعمال القوة العسكرية في حل قضية اليمن، بعد أن توصلت لجنة في مجلس النواب العثماني إلى تسوية مقبولة للأوضاع فيها، كما سمح الاتفاق مع شركة لنتش Lynch بزيادة النفوذ البريطاني في العراق، بعد دمج البواخر الحميدية مع بواخر الشركة وإعطائها حق احتكار الملاحة في نهر دجلة، حيث أدرك النواب العرب في البرلمان العثماني نية الاتحاديين بالتضحية بمصالح العرب.⁽²⁹⁾

[24] طلاس، مصطفى، الثورة العربية الكبرى، دار طلاس، دمشق، ط4، 1987م، ص73.

[25] الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، 6 أجزاء، ج3، د.ت، ص150.

[26] برو، العرب والترك، ص317.

[27] طلاس، الثورة العربية الكبرى، ص73-74.

[28] Hurewitz. J. C, Treaty of peace (Ouchy and Lausanne) in Tripoli and the Dodecanese island, Italy and the Ottoman Empire, 15-18 October 1912, vol. I, p.552-557.

[29] كوتلوف، الحركة العربية، ص156.

وقمعت ثورة الدروز في حوران وجبل العرب بطريقة عنيفة، وذلك بتوجيه ضابط عربي لإخماد ثورة عربية، حيث تم تعيين سامي باشا الفاروقي قائداً للحملة التي تم إرسالها إلى حوران لقمع انتفاضتها، وقد تم إحاطته بضباط من غلاة العنصرية التركية الذين نفذوا خططهم باسمه ثم عزوا أعمالهم إليه.⁽³⁰⁾

كما تركت طرابلس الغرب وبرقة لقمة سائغة لإيطاليا، بعد انسحاب العثمانيين، وتركهم للمتطوعين العرب يقفون مصيرهم لوحدهم، بعد أن اشتدت وطأة الطليان وهجومهم على سواحل الدولة العثمانية، وجاءت أحوال البلقان السيئة لتزيد من تعقيد الأوضاع، حيث لم يبق للعثمانيين سوى حفظ كرامة السلطان، وأن تبقى على شيء من مكانتها في العالم العربي، وكان الحل الوحيد لمشكلة سيادة السلطان، هو إعلان الدولة العثمانية استقلال ولايتي طرابلس الغرب وبرقة، وسحب العساكر العثمانية منهما، ليبقى العرب في مواجهة الإيطاليين وجهاً لوجه، وحرمانهم من المساعدات المالية والأسلحة، كما شكل نشاط الصهاينة في فلسطين مادة للنقاش في مجلس المبعوثان، وأسهم فيها معظم النواب العرب الذين طالبوا بوقف الهجرة اليهودية، ويوضع حد للتوسع الصهيوني في فلسطين الذي اعتمد سياسة شراء الأراضي الفلسطينية من أجل الاستيطان، وقد اتهم بعضهم الحكومة العثمانية مباشرة بالتواطؤ مع الصهيونية.⁽³¹⁾

أدركت جمعية الاتحاد والترقي الخطر المحدق بتفوق العناصر غير التركية بانتصار خصومها السياسيين، فاتجه أعضاؤها إلى تقوية الرابطة القومية على الصعيد السياسي، فبادرت إلى تشكيل حزب تركي قومي، هو الحزب القومي الدستوري، وقد تم تأسيسه في 5 أيلول 1912م، أي بعد سقوط حكومة الاتحاديين بشهرين فقط، وكان أول حزب سياسي قومي أسسه الترك، وقد سبقه بعض المنتديات والجمعيات التركية، وكان ينادي بوضع الرابطة التركية فوق جميع الروابط العثمانية.⁽³²⁾

مع هزائم الدولة العثمانية في طرابلس الغرب وحروب البلقان، وقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى، بدأت القومية التركية تعلن عن عدائها الشديد لما هو عربي وإسلامي، وذلك من خلال جمعيات كبيرة تأسست برعاية الحكومة لنشر الطورانية⁽³³⁾، وأهمها جمعية ترك أوجاغي أي الكيان التركي، وكان مقرها في استانبول، وكان لها فروع عديدة في مدن الأناضول وكانت تهدف إلى تنريك العناصر غير التركية، وتحويل الدولة إلى دولة تركية - قومية⁽³⁴⁾، وجمعية ترك يوردي أي المملكة أو البلاد التركية، وكان هدفها العناية بالأدب التركية، وتنقية اللغة التركية من الكلمات العربية، وتنريك الأدعية والأذان وغيره، وجمعية ترك درنكي أي الثبات التركي، وجمعية ترك بيلكيشي أي العلم التركي، وجمعية ترك كوجي أي القوة التركية، وكانت هذه الجمعيات محصورة بالأترك فقط، وتفرض على أعضائها استبدال أسمائهم العربية بأسماء تركية، فقد كانت أسماء معظم الأتراك من رجال ونساء، أسماء عربية، وكان ذلك نقطة الانعطاف في العلاقات العربية- التركية.⁽³⁵⁾

[30] داغر، أسعد مفلح، ثورة العرب، مطبعة مطرانية الأرمن الأرثوذكس، حلب، ط2، 1989م، ص54.

[31] منسي، حركة اليقظة العربية، ص144. كوتلوف، الحركة العربية، ص159-160.

[32] برو، العرب والترك، ص323-324.

[33] زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار، بيروت، ط4، 1986م، ص108.

[34] داغر، ثورة العرب، ص138.

[35] زين، نشوء القومية العربية، ص108-109.

دعت جماعة الحرية والائتلاف إلى اللامركزية، وذلك من وجهة نظر الجامعة العثمانية، على أن تمنح غير الترك نوعاً من الحكم الذاتي، لكي تحافظ الدولة العثمانية على هدوئهم بدلاً من إثارتهم عليها، وبالتالي تحولهم إلى قوى مناهضة لها، والارتقاء في أحضان القوى الأجنبية.⁽³⁶⁾

بالتالي تبنى الاتحاديون سياسة المركزية الممزوجة بالطورانية ولو تطلب ذلك استعمال العنف والشدة، فقد تشددت هذه الجماعة في سياسة التتريك في الدوائر الرسمية، وفرض اللغة التركية في المدارس وغيرها من المؤسسات الحكومية، مما أثار بقية الشعوب في الدولة العثمانية.⁽³⁷⁾

كان للأمر تداعيات كبيرة كما يقول ساطع الحصري "ولكن التشدد في المركزية، في عهد المشروطية⁽³⁸⁾، في دولة تتألف من قوميات عديدة، مثل الدولة العثمانية، كان لابد وأن يثير مشاكل كثيرة وخطيرة، وتوالي هذه المشاكل كان لابد أن يحمل الكثير من النواب إلى المطالبة باللامركزية"⁽³⁹⁾، ومن هنا أخذت فكرة اللامركزية بالتطور والتوسع في أذهان المفكرين والسياسيين والناشطين العرب، وبدأت رحلة الانفصال مع سائر الجنسيات عن الاتحاد والترقي والانضمام إلى حزب الحرية والائتلاف.⁽⁴⁰⁾

بقي حزب الاتحاد والترقي قابضاً على زمام الحكم، حتى اندلاع ثورة الألبان عام 1912م قبيل حرب البلقان التي أدت إلى سقوط الاتحاديين وانتقال السلطة إلى الائتلافيين الذين سارعوا إلى تطبيق مبدأ اللامركزية، ودعت المجالس العمومية في الولايات إلى الاجتماع لبحث قضايا الإصلاح، إلا أن الاتحاديين باغتوا الحكومة لدى اجتماعها عند الباب العالي، فيما يشبه انقلاباً جديداً، وأقدموا على قتل وزير الحرية مع مرافقه، وأجبروا رئيس مجلس الوزراء على الاستقالة، وأصبح محمود شوكت صدرًا أعظمًا⁽⁴¹⁾، إلا أنه اغتيل في أيار عام 1913م، فبسطت جمعية الاتحاد والترقي سيطرتها التامة على الجيش وكافة مؤسسات الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقامت الإدارة الجديدة للدولة العثمانية بإبطال الخطوات السابقة، وأعدت فكرة المركزية إلى الحكم، كما قامت بضرب أحزاب المعارضة وقامت بنفي زعمائها، ونفذت الكثير من أحكام الإعدام وأعمال القمع التي وصلت كبير، ولم ينتهي هذا العهد الديكتاتوري إلا بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى⁽⁴²⁾.

^[36]برو، العرب والترك، ص 85-86.

^[37]Rogan, Eugene, the Fall of the ottoman-The Great War in the Middle East 1914- 1920, Allen Lane, Great Britain, First published,2015, p.24.

^[38] المشروطية: هي الدستور الذي صادق عليه السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1877م، وتم على أساسه تشكيل أول مجلس نيابي في الدولة العثمانية المبعوثان، وبعده تعطيله في شباط 1878، وتسمى هذه الفترة بالمشروطية الأولى، أما المشروطية الثانية فتبدأ من تاريخ المرسوم الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م، ودعا فيه إلى إعادة تفعيل المجلس بعد تعطيله أكثر من ثلاثين عاماً. صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ط، 1421هـ/2000م، ص 209.

^[39] الحصري، البلاد العربي والدولة العثمانية، ص 107.

^[40] قلعجي، الثورة العربية الكبرى 1916-1925، ص 71.

^[41] أرمسترونغ، ه.س، الذئب الأغبر -مصطفى كمال، دار الهلال، القاهرة، 1925م، ص 47.

^[42] الخالدي، محمد فاروق، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دار الراوي، الدمام، ط1، 2000م. ص 107.

الخاتمة:

إن أوضاع الدولة العثمانية في بداية القرن العشرين وبداية ظهور الوعي القومي العربي نتيجة لظهور طبقة من المثقفين العرب الذين تتلمذوا في أوروبا شجعهم على المطالبة بالإصلاح واستقلال الولايات العربية عن طريق الصحف والمجلات التي أنشؤوها في مصر وأوروبا، وكانت كلها تدعو للإصلاح وخصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد إقرار الدستور العثماني عام 1908م، رغم التضييق الذي مارسه ضد العرب في عهده، كما ظهرت الجمعيات العربية التي تتنادي بالإصلاح، لكن الصحف التركية بدأت بمهاجمة العنصر العربي، وعملت على نشر سياسة التتريك بين الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية للقضاء على مطالبهم القومية وحريةهم الشخصية، فعملت على إقامة جمعيات تركية خالصة تدعو إلى وضع الرابطة التركية فوق جميع الروابط العثمانية، كما تبنى الاتحاديون سياسة المركزية في الحكم مستخدمة العنف والقسوة في تطبيقها مما أثار بقية الشعوب في الدولة العثمانية عليها، فقد خذلت جمعية الاتحاد والترقي العرب في مطالبهم بعد أن استفادت منهم في إسقاط حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وبدأت تتجه نهجاً مغايراً عما طرحته في البداية يدعوا إلى القومية التركية وإلغاء كافة القوميات الأخرى في الدولة العثمانية.

Reference

- [¹]Abdul Qadir, Muhammad al- Khair, The catastrophe of the Islamic nation with the Fall of the ottoman Caliphate, Wahba library, 1st Edition, 1985.
- [²] Armstrong, Hs, The Dark Wolf- Mustafa Kamal, Dar Al-Hilal, Cairo, 1925.
- [³]Arslan, Shakeeb, History of the ottoman Empire, Dar ibn Katheer, Damascus, 1st Edition, 2001.
- [⁴]Al-Azm, Rafiq, collections of Archeology Rafik Bey Al-Azm, First section, ottoman university and Turkish Asabiyya, Al-Manar Press, Egypt, 2nd Edition, 1925.
- [⁵]Berro, Tawfiq, Arabs and Turks in the ottoman constitutional Period 1908- 1914, Tlass House, Damascus, 1st Edition, 1991 AD.
- [⁶]Dagher, Assad Mufleh, The Arab Revolution, Armenian Orthodx Archdiocese Press, Aleppo, 2nd Edition, 1989.
- [⁷]Darwaza, Muhammad Azza, the emergence of the modern Arab movement, Publications of the modern library, saida, Beirut, dt.
- [⁸]Diary of Suleiman Faydi, investigation by Basil Suleiman Faydi, saqi House, Beirut, 3rd Edition, 1998.
- [⁹] AL- Hosari, Sataa, Arab countries and the ottoman Empire, Al- Risalah press, cairo, D.
- [¹⁰] Al- Hosari, sataa, lectures on the emergence of the national idea, House of science for the Million, Beirut, 3rd Edition, 1948.
- [¹¹] Hurewitz. J. C, Treaty of peace (Ouchy and Lausanne) in Tripoli and the Dodecanese island, Italy and the Ottoman Empire, 15-18 October 1912, vol. I.
- [¹²]Al- Khalidi, Muhammad Farouk, The Great conspiracy against the levant, Dar Al-Rawi, Dammam, 1st Edition, 2000.
- [¹³]Kotloff, lev, The Arab Movment in the Arab Mashreq 1908-1914 Apolitical- Historical and Economic study, translated by ziad Al-Mulla, House of literary Treasures, 1st Edition, 2002.

- [¹⁴]Mansi, Mahmoud saleh, The Arab Awakening Movement in the Asian East, Arab Thought House, 2nd Edition, 1978.
- [¹⁵] Moati, Ali, The Political and Social History of Lebanon, A study of Arab- Turkish Relations 1908-1918, Ezz El-din foundation, Beirut, 1st Edition, 1992 AD.
- [¹⁶]Al-Nafzawi, Muhammad Nasser, political intellectual currents in the ottoman sultanate 1839-1918AD, Muhammad Ali lawyer house, sfax, 1st Edition, 2001 AD.
- [¹⁷]Al-numani, Arif Bey, Documents on the Lebanese-Syrian- French Relations 1882-1955 AD, prepared by Fatima Al- Shami, Beirut, 1999AD.
- [¹⁸]Pages from the History of the Arab Renaissance in the Early Twentieth Century, The Salafi press, dt.
- [¹⁹] Qalaji, Qadri, The Great Arab Revolt 1916-1925, Lebanese publications company, Beirut, 1st Edition, 1993.
- [²⁰] AL- Rifai, Shams al-Din, History of the Syrian press, C1, Dar Al-Maarif, Cairo, 1967AD.
- [²¹]Rogan, Eugene, the Fall of the ottoman-The Great War in the Middle East 1914- 1920, Allen Lane, Great Britain, First published,2015.
- [²²]Saban, Suhail, Encyclopedic Dictionary of Historical ottoman Terminology, King Fahd National library, Riyadh, DT, 1421AH\2000AD.
- [²³]Tlass, Mustafa, The Great Arab Revolt, Dar Tlass, Damascus, 4th Edition, 1987.
- [²⁴]Al-Wardi, Ali, social profiles from the Modern History of Iraq, 6 volumes, c3,Dt.
- [²⁵] Zain, Nour al-Din zain, The Emergence of Arab nationalism with a Historical Study of Arab- Turkish Relations, Dar- Nahar, Beirut, 4th Edition,1986.